Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

مروج الذهب

ومعادن الجوهر

تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل

أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى

المتوفى فى عام ٣٤٦ من الهجرة

بتحقيق

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء الرابع

الطبعة الرابعة : مزيدة ومنقحة
فى سنة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

يطلب من ناشره
المكتبة التجارية الكبرى ، بميدان العتبة ،وبأول شارع القلعة ، بالقاهرة
لصاحبها : مصطفى محمد

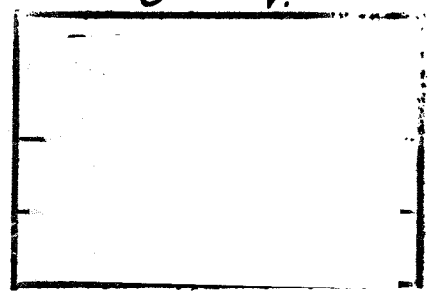

جميع حق الطبع محفوظ للمحقق

م. السعادة
بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى

ذكر خلافة المأمون

موجز

وبويع المأمونُ عبدُ الله بن هارُونَ الرشيد ، وكُنْيته أبو جعفر ، وأمه باذغيسية ، واسمها مراجل ، وقيل : [إن] كُنْيته أبو العباس ، وهو ابن ثمان وعشرين سنةً وشهرين ، وتوفى بالبديدون[1] على عين القشيرة[2] ، وهى عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون ؛ وقيل : إن اسمها بالرومية أيضاً رقة ، وحُمِلَ إلى طوسوس ، فدفن بها على يسار المسجد ، سنة ثمانىَ عَشَرَةَ ومائتين ، وهو ابن تسع وأربعين سنةً ، فكانت خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها أربعة عشر شهراً كان يحارب أخاه محمد ابن زُبَيْدَةَ على ما ذكرنا ، وقيل : سنتان وخمسة أشهر ، وكان أهل خُرَاسَان فى تلك الحروب يُسَلِّمُون عليه بالخلافة ، وَيُدْعَى له على المنابر فى الأمصار والحرمين والكور والسهل والجبل مما حَوَاه طاهر وَغَلَبَ عليه ، وَيُسلِّم على محمدٍ بالخلافة مَنْ كان ببغداد خاصة لا غيرها[3] .

(١) فى ب « بالبليدون » (٢) فى ب « العشيرة » .
(٣) فى ب « لا غير » .

ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه

المأمون والفضل ابن سهل

وغلب على المأمون الفَضْلُ بن سهل ، حتى ضايقه فى جارية أراد شراءها ، فقتله ، وادعى قوم أن المأمون دَسَّ عليه من قتله ، ثم سلّم عليه الوزراء بعد ذلك : منهم أحمد بن خالد الأحول ، وعمرو بن مَسْعَدَة ، وأبو عبادة ، وكل هؤلاء سلّم عليهم[1] برسم الوزارة .

عمرو ابن مسعدة

ومات عمرو بن مَسْعَدَة سنة سبع عشرة ومائتين ، فعرض لماله ، ولم يعرض لمال وزير غيره .

وغلب على المأمون آخراً الفَضْلُ بن مروان ، ومحمد بن يزداذ .

على بن موسى الرضا

وفى خلافته قبض على بن [موسى] الرضا مسموماً بِطُوسَ ، ودُفن هنالك [وهو يومئذ ابن تسع وأربعين سنةً وستة أشهر ، وقيل غير ذلك] .

المأمون وعمه إبراهيم

وهجا المأمونَ إبراهيمُ بن المهدى المعروف بابن شِكْلَةَ عَمُّه ، وكان المأمون يظهر التشيع ، وابن شِكْلَة التسنن ، فقال المأمون :

إذا المُرْجِئُ سَرَّكَ أن تراه ... يَمُوتُ لحينه من قبل مَوْتِهْ
فَجَدِّد عنـــده ذِكْرَى عَلِيٍّ ... وَصَلِّ عَلَى النبىِّ وآل بيته

فأجابه إبراهيم رَادًّا عليه :

إذا الشِّيعِىُّ جَمْجَمَ فى مَقَال ... فَسَرَّكَ أن يبوح بذات نَفْسِهْ
فَصَلِّ عَلَى النبىِّ وَصَاحِبَيْهِ ... وَزِيرَيْهِ وَجَارَيْهِ بِرَمْسِهْ[2]

ولإبراهيم بن المهدى مع المأمون أخبار حسان ، هى موجودة فى كتاب الأخبار لإبراهيم بن المهدى .

المأمون وأبو دلف

ودخل أبو دُلَف القاسمُ بن عيسى العِجْلِىُّ على المأمون ، فقال له : يا قاسم ، ما أحْسَنَ أبياتَكَ فى صفة الحرب ، ولذاذتَكَ بها ، وزهدك فى المغنيات ! قال : يا أمير المؤمنين ، أى أبيات هى ؟ قال : قولك :

(١) فى ا « سلم عليه » (٢) الرمس : القبر ، وأراد أبا بكر وعمر

لِسَلِّ السيوف وشَقِّ الصفوف ونَفْضِ التراب وضرب القُلَلْ

قال : ثم ماذا يا قاسم ؟ قال :

ولبس العَجاجة والخافقات تُرِيكَ المنايا بروس الأسَلْ[1]

وقد كشفتْ عن شبَا نابها [عروس المنية بين الشعَلْ]

[وجاءت تَهادَى وأبناؤها] كأنَّ عليهم شُرُوقَ الطَّفَلْ

خَروس نَطُوق إذا استنطقت جهول يطيش على من جهل

إذا خطبت أخذت مهرها رءوسا تساقَطُ بين القُلَلْ

ألذ وأشهى من المسمعات وشرب المدامة فى يوم طَلّ

أنا ابن الحسام، وتِرْبُ الصِّفَاح، وربْبُ المنون، وقرب الأجل[2]

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذه لذتى مع أعدائك ، وقُوَّتى مع أوليائك. ويدى معك ، ولئن استلذَّ مستلذ شيئاً من المعاقرة مِلْتُ إلى المصادمة والمحاربة ، قال : يا قاسم ، إذا كان هذا النمط من الأشعار شأنك واللذة لذتك فما ذا تركت للوسنان مما خلفت ، وأظهرت له من قليل ما سترت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وأى أشعارى ؟ قال : حيث تقول :

أيهـــا الراقد المؤرِّقُ عينى نَمْ ، هنيئاً لك الرقاد اللذيذ

عَـــلِمَ الله أنَّ قلبىَ مما قد جَنَتْ مُقْلَتَاكَ فيه وَقِيذُ

قال : يا أمير المؤمنين ، سهوة بعد سهرة غلبت ، وذلك [قسم] متقدم ، وهذا ظن متأخر ، قال : يا قاسم ، ما أحسن ما قال صاحبُ هذين البيتين :

أذمُّ لك الأيامَ فى ذات بيننا وما للَّيالى فى الذى بيننا عُذْرُ

إذا لم يكن بين المحبين زَوْرَة سوى ذكر شىء قد مضى دَرَسَ الفكر

قال أبودلف : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ! ! هذا السيد الهاشمى والملك العباسى ، قال : وكيف أدَّتْكَ الفطنة ، ولم تداخلك الظِّنَّة ، حتى

(١) فى ب « بروس القلل » (٢) هذا البيت يروى فى ب هكذا :
أنا ابن الحمام ، وترب الصفاح وترب المنون ، وترب الأجل

تحقَّقْتَ أنى صاحبهما ، ولم يداخلك الشك فيهما ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما الشعر بساط صوف ، فمن خَلَط الشعر بنقىِّ الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ، ونار ضوءه[1] عند التأليف .

من كلات المأمون

وكان المأمون يقول : يغتفر كل شىء إلا القَدْح فى الملك ، وإفشاء السر ، والتعرض للحرم .

وقال المأمون : أخِّرِ الحرب ما استطعت ، فإن لم تجد منها بداً فاجعلها فى آخر النهار .

وذكر أنه من كلام أنوشروان .

وكان المأمون يقول : أعْيَتِ الحيلة فى الأمر إذا أقبل أن يُدْبر ، وإذا أدبر أن يُقْبل .

ولما تأتى الملك للمأمون [وخلص] قال : هذا جسيم لولا أنه عديم ، وهذا ملك لولا أنه بعده هُلْك[2] ، وهذا سرور لولا أنه غرور ، وهذا يوم لو كان يوثق بما بعده[3] .

وكان المأمون يقول : البشر مَنْظَرٌ مُونِق ، وخَلْقٌ مشرق ، وزارع للقلوب ، ومحلٌّ مألوف ، وفضل منتشر ، وثناء بسيط ، وتُحَف للأحرار ، وذَرْعٌ رحيب ، وأول الحسنات ، وذريعة إلى الجاه ، وأحمد للشِّيَمِ[4] ، وباب لرضا العامة ، ومفتاح لمحبة القلوب .

وكان المأمون يقول : سادة الناس فى الدنيا الأسْخِياء ، وفى الآخرة الأنبياء[5] وإن الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة طعام على ميزاب البخل ، لو كان طريقاً ماسلكته ، ولو كان قميصاً ما لبسته .

وحضر المأمون إمْلاَكاً لبعض أهل بيته ، فسأله [بعض] مَنْ حضر أن يخطب ، فقال : الحمد لله ، المحمود الله ، و [الصلاة على] المصطفى

(١) فى ا « وبان ضوءه » (٢) فى ا « لولا أن بعده هلك » .
(٣) فى ا « يوثق بعده » (٤) فى ا « وأحمد الشيم » .
(٥) فى ا « الأتقياء » .

رسول الله ، وخَيْرُ ما عُمِلَ به كتابُ الله ، قال الله تعالى : (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقَرَاء يُغْنِهم الله من فضله ، والله واسع عليم) ولو لم يكن فى المناكحة آية محكمة ولا سنة متَّبعة إلا ما جعل الله فى ذلك من تأليف البعيد والقريب لَسَارَعَ إليه المُوفَّقُ المصيب ، وبادر إليه العاقل النجيب[1] ، وفلان مَنْ قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه ، خَطَب إليكم فتاتكم فلانة ، وبذل [لها] من الصداق كذا وكذا ، فشفِّعُوا شافعنا ، وأنكحوا خاطبنا ، وقولوا خيراً تحمدوا عليه وتؤجَرُوا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

بين ثمامة ويحيى ابن أكثم عند المأمون

وذكر ثُمَامَةُ بن أشْرَسَ قال : كنا يوماً عند المأمون[2] ، فدخل يحيى ابن أكثم — وكان قد ثقل عليه موضعى منه — فتذاكرنا شيئاً من الفقه ، فقال يحيى فى مسألة دارت : هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وجابر ، قلت : أخطأوا كلهم ، وأغفلوا وجه الدلالة ، فاستعظم [منى] ذلك [يحيى] وأكبره ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يخطِّىء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ، فقال المأمون : سبحان الله!! أكذا يا ثُمَامَة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا لايبالى ماقال ولاماسَمِع به ، ثم أقبلت عليه فقلت : ألست تزعم أن الحق فى واحد عند الله عزوجل؟ قال : نعم ، قلت : فزعمت أن تسعة أخطأوا وأصاب العاشر ، وقلت أنا : أخطأ العاشر ، فما أنكرت؟ قال : فنظر المأمون إلى وتبسَّمَ ، وقال: لم يعلم أبو محمد أنك تجيب هذا الجواب[3] ، قال يحيى : وكيف ذلك ؟ قلت: ألست تقول : إن الحق فى واحد ؟ قال : بلى ، قلت : فهل يخلِى الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟قال: لا، قلت : أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عندك الحقَّ ؟ قال : نعم، قلت : فقد دخلت فيماعِبْتَ ، وقلت بما أنكرت وبه شنعت ،وأنا أوضح[4]

(١) فى ا « العاقل اللبيب » (٢) فى ا « فى مجلس المأمون » .
(٣) فى ا « تجيب بهذا الجواب » (٤) فى ا « وأنا أصح دلالة منك » .

دلالة منك ، لأنى خطأتهم فى الظاهر ، وكل مصيب عند الله الحق ، وإنما خطأتهم عند الخلاف، وأدَّنِى الدلالة إلى قول بعضهم ، فخطأت من خالفنى، وأنت خطأت من خالفك فى الظاهر وعند الله عز وجل .

وفد الكوفة والمأمون

وقدم وَفْدُ الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون ، فأعْرَضَ عنهم ، فقال شيخ منهم : يا أمير المؤمنين ، يَدُكَ أحق يدٍ بتقبيل ؛ لعلوها فى المكارم، وبعدها[1] من المآثم ، وأنت يوسفى[2] العفو فى قلة التَّثْرِيب ، مَنْ أرادك بسوء جعله الله حَصِيدَ سيفك ، وطريد خوفك ، وذليل دولتك ، فقال : يا عمرو ، نِعْمَ الخطيب خطيبهم ، اقْضِ حوائجهم [فقضيت] .

المأمون والزنادقة ومعهم طفيلى

وذكر ثُمَامة بن أشْرَسَ قال : بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب إلى قول مانى ، ويقول بالنور والظلمة ، من أهل البصرة ، فأمر بحملهم إليه بعد أن سُمُّوا واحداً واحداً ، فلما جُمِعُوا نظر إليهم طُفَيْلى فقال: ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع، فدخل فى وَسَطهم ، ومضى معهم ، و[هو]لايعلم بشأنهم ، حتى صار بهم الموكلون إلى السفينة ، فقال الطفيلى : نزهة لا شك فيها ، فدخل معهم السفينة ، فما كان بأسرع من أن حيء بالقُيُود ، فقيد القوم والطفيلى معهم ، فقال الطفيلى : بلغ أمر تطفيلى إلى القيود ، ثم أقبل على الشيوخ فقال : فَدَيْتكم أيش أنتم ؟ قالوا : بل أيش أنت ؟ ومن أنت من إخواننا ؟ قال : والله ما أدرى غير أنى [والله] رجل طفيلى خرجت فى هذا اليوم من منزلى فلقيتكم فرأيت منظراً جميلا وعَوَارِضَ حسنة [وبزة] ونعمة[3] فقلت : شيوخ وكهول وشَبَابٌ جمعوا لوليمة ، فدخلت فى وسطكم، وحاذبت بعضكم كأنى فى جملة أحدكم ، فصرتم إلى هذا الزورق ، فرأيته قد فُرِش بهذا الفرش ومهد ورأيت سفراً مملوءة وجُرُباً وسلالا ، فقلت : نزهة يمضون إليها إلى بعض القصور والبساتين ، إن هذا اليوم مبارك ، فابتهجت سروراً ، إذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدنى معكم ، فورد علىَّ ما قد أزال عقلى ، فأخبرونى ماالخبر ، فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسُرُّوا ،

(١) فى ا « وبعدها عن المآثم » (٢) فى ا « وأنت توسع العفو الذنب » .
(٣) فى ا « وعوارض حسنة ونعمة ظاهرة » .